القرآن الكريم
ودوره في تفكيك بنية التطرف الفكري
وتحقيق السلم المجتمعي

الباحث
أ.د. حازم عدنان أحمد
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد

The Holy Quran
And its role in dismantling the structure of intellectual extremism
and achieving societal peace

Research submitted to the conference of the College of Islamic Sciences / University of Baghdad
Fourteenth marked (The Impact of Islamic Sciences in Achieving Sustainable Development)

from the researcher
. Dr. Hazem Adnan Ahmed
College of Islamic Sciences/University of Baghdad

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث الى بيان أهمية خلق الانسان وتكريمه بالعقل والتعقل والفهم السليم، ودور العقيدة القرآنية في تقويم الفكر الانساني. والوقوف على مشكلة التطرف الفكرية ومعالجته، وبث روح الوسطية والاعتدال، وبيان روح الشريعة السمحاء. للحفاظ على النسيج الاجتماعي وأن القرآن الكريم الفيصل في نبذ التطرف والحفاظ على النسيج الاجتماعي. ثم يعرج البحث على دور المجتمع الاكاديمي في التصدي للتطرف الفكري على وفق وسائل واليات متعددة.

الكلمات المفتاحية: القرآن/ دوره/ تفكيك/ تطرف/ سلم

Title search summary:

This research aims to demonstrate the importance of creating man and honoring him with reason, prudence and sound understanding, and the role of the Qur'anic belief in evaluating human thought. And standing on the intellectual problem of extremism and its treatment, spreading the spirit of moderation and moderation, and clarifying the spirit of the tolerant Sharia. To preserve the social fabric and that the Noble Qur'an is the faction in rejecting extremism and preserving the social fabric. Then the research discusses the role of the academic community in confronting intellectual extremism, according to various means and mechanisms.

Keywords: The Qur'an / its role / deconstruction / extremism / peace

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اما بعد:

القرآن الكريم، الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين ايديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قدّم للناس البيان الجلي للعقيدة السمحاء، والاحكام الغراء لتسعد الإنسان والمجتمع وتقود بهم الى الصلاح الدنيوي والفلاح الاخروي، فبيّن الله تعالى فضيلة الإنسان وكرامته، وفضيلة العقل والتعقل على سائر خلقه، وأن العقل هي سمات انسانيته، وقد عمد الخطاب الالهي الى العقل في مجمل التنزيل الحكيم، كي يعلم ما انزل اليه وما سيكون عليه من شرعة ومنهاج.

والحق ان الله (عز وجل)، خاطب العقل؛ لأن العقل هو مناط التكليف، وان الانسان لا بد من انقياده إلى الضوابط العقلية في امور حياته والتدبر في آلاء الله تعالى وخلقه، وأن الدنيا خلقت من أجل خلافة الإنسان على الارض.

والعقل هو الذي ينتج عنه التأمل والتفكير، والفكر حول حركة النفس في المعقولات، أي اعمال العقل والتدبر والخلوص إلى نتائج تسهم في خلق حالة الرقي الثقافي.

غير أن هناك من انقاد عقله على وفق الأهواء والرغبات والميول النفسية لتكوين فكر يخرج عن ضوابط العقل والفهم السليم للعقيدة واحكام الشريعة، وقودها إلى مآرب دنيوية، ولعل أخطر ما يمكن قوله إن لهذه الأفكار مؤسسات عالمية تدير الأفكار وبثها في روح الشباب والمجتمع على حد سواء لتقييدهم، وتجميد الفكر الإنساني وانقياده على وفق افكارهم التي تعدّ لهم ثوابت قدسية منطوقة من الخطاب الإلهي، والسنة النبوية المطهرة.

فلا شك في أننا نجد أن التطرف الفكري اصبح من اخطر الامراض التي هتكت المجتمع وهدمت التعايش السلمي بين اطياف المجتمع، وآل الأمر الى هدم المجتمعات وبث الفتن والحروب والاقتتال وتهجير الاقوام عن اوطانهم.

أهمية البحث وأهدافه:

١. بيان أهمية خلق الانسان وتكريمه بالعقل والتعقل والفهم السليم.
٢. بيان العقيدة القرآنية في تقويم الفكر الانساني.
٣. بيان أهمية مواجهة التطرف الفكرية وبث روح الوسطية والاعتدال، وبيان روح الشريعة السمحاء.
٤. بيان أهمية النسيج الاجتماعي ودور القرآن الكريم في الحفاظ عليه.
٥. بيان دور المجتمع الاكاديمي في التصدي للتطرف الفكري.

منهجية البحث:

سيتبع الباحث المنهج الوصفي في تأصيل دراسته التي جاءت في المعطيات القرآنية والسنة النبوية، ثم استعمال المنهج النقدي للفكر المتطرف الذي يهدم العيش السلمي بين المجتمعات.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الرئيسة في تسلط الفكر المتطرف على المجتمع وهلك الحرث والنسل، وتقديم انفسهم انهم مرجع الدين الحنيف، بل انهم الدين نفسه، وعند النظر إلى احوال فكرهم نجد ان تناقضاتهم مع الدين الحق كانت جلية، وان جل افكارهم لا تتماشى مع الخطاب الالهي ومقاصد الله تعالى في البشر، وان ما صدر عنهم هي آلة تدمير الفكر الانساني والمجتمع، وتقتيل المجتمعات.

خطة البحث:

قسمت البحث على مبحثين بحسب العنوان ومقتضيات الدراسة، تتفرع عنه مطالب عدة.

فأما المبحث الأول فقد كان بعنوان العقيدة القرآنية واثرها في ارساء القواعد الفكرية السليمة، ويتفرع عنه مطلبان، فاما الأول: فهو بعنوان الخطاب القرآني للعقل، وأما الثاني فهو بعنوان العقيدة القرآنية وأثرها في تقويم الفكر الانساني.

واما المبحث الثاني فقد جعلت عنوانه القرآن الكريم ودوره في معالجة التطرف الفكري والحفاظ على النسيج الاجتماعي، وفيه ثلاثة مباحث، فاما المطلب الأول فكان بعنوان القرآن الكريم ودوره في حماية الفرد والمجتمع من التطرف الفكري واما الثاني فهو القرآن الكريم ودوره في الحفاظ على النسيج الاجتماعي، واخيراً المطلب الثالث الذي هو بعنوان واجب المجتمع الاكاديمي نحو التطرف الفكري.

والله اسال ان يسدد خطاي في مقصدي هذا، وان يجعله علما ابتغي فيه وجهه الكريم، وان يهيئ لنا من امرنا رشداً نحو صلاح المجتمع وفلاح، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

المبحث الاول

العقيدة القرآنية وأثرها في إرساء القواعد الفكرية السليمة

مدخل:

عمد القرآن الكريم منذ نزوله على صدر نبينا محمد (ﷺ)، إلى تقديم بيان شامل للعقيدة الصحيحة التي ارتضاها الله تعالى للبشر جميعاً، وجملة هذه البيانات تدور في فلك تثبيت القواعد الإيمانية، وعدم الانجرار والزيغ نحو الأفكار الهادمة، والعقائد التي لم ينزل بها من سلطان.

سنقف في هذا المبحث بالبيان على اهتمام العقيدة القرآنية بالعقل البشري وضبط افكاره نحو السداد ليرتقي برفعة الإنسان والمجتمع.

المطلب الأول: الخطاب القرآني للعقل.

مما لا شك فيه أن الله تعالى خاطب العقل بآيات عدة في محكم التنزيل، لأن العقل هو مناط التكليف، والتكليف يقع على أولي الالباب، ومن تلك الخطابات الالهية:

١. قال تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[١].

٢. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [٢] .

٣. وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٣] .

٤. وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] .

والآيات الناطقة تخاطب العقل عدة في القرآن الكريم، ليبين الله تعالى مدى تكريم الإنسان على سائر خلقه، والملائكة الابرار الذين يسبحون بحمده وهم لا يسئمون، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٥]

يقول الإمام الرازي (رحمه الله)، في تفسير هذه الآية الكريمه: اما الإنسان فإنه علق رشده بعقله لا بطبعه حتى أن الإنسان قبل ظهور العقل فيه لا يميز بين النافع والضار، اما إذا حملنا ها التكريم على الارواح الروحانية فيكون بالعقل والفهم[٦].

فالادراك والبصيرة لا يكونان الا بالعقل، وفضلية العقل بهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٧] ، وفي التفسير، أي لمن كان له عقل، فجعل من لا عقل له كأنه لا قلب له[٨].

فالعقل هو الادراك والبصيرة، ولا يكون الإنسان إلا بهما انساً، والعقل هو الذي ينظم السلوك السوي للإنسان، وكذلك فكره ومعتقده، وهو نور روحاني به تُدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية، ولأنه يربط الإنسان عن فعل النقائص[٩].

والقرآن الكريم في معرض آياته الكريمة يوجه الإنسان بفعله العقلي، وبإرادته مطلقة الاختيار إلى طريق الخير والسعادة تحت طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[١٠] ، وقوله تعالى في تزكية النفوس بعد مخاطبة الله تعالى للعقل الانساني: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[١١].

هذا التأسيس المطلق للعقل وفضيلته من لدن الله تعالى ما هو إلا إكرام وتكريم للإنسان الذي فضله تعالى على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً.

والاجدر بالإنسان أن يستعمل بصيرته العقلية، وادراكات ومسوسات الرابطة بالعقل في تأسيس قواعد حياتية تخدم المجتمع لتحقيق حكمة الله في خلق الإنسان وخلافته في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[١٢]

والإنسان هذا المخلوق جُهز بمجموعة من الملكات والصفات، لا بد منها للتكامل لديه القدرة على إدارة شأن هذا الكون وتعميره واستخدامه، فبث فيه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والادراك والقدرة على تحليل الاشياء وسبر اغوارها والوصول إلى ما وراءها[١٣].

المطلب الثاني: العقيدة القرآنية وأثرها في تقويم الفكر الانساني

عالج القرآن الكريم بآياته الكريمة العقائد الباطلة والشركية، التي دَب عليها البشر على وفق فلسفات وافكار بعيدة عن الوحي الالهي، فهو يكشف حقيقة تلك العقائد وصناعة البشر لها، بل تعدى إلى كشف زيغ الزائغين في كتبهم المقدسة، ووضع مفتريات على الله تعالى.

لذلك نجد القرآن يغرق النفوس، ويبيّن الاوهام والافكار المنحرفة حول العقيدة التي يعتنقها كثير من البشر، يقول الميداني: "كأن تتحول التخيلات والأوهام والشكوك الى عقائد موجهه للارادة، فتسلك مسلكاً شاذاً في داخل نفسه إلى مركز العقيدة"[١٤].

ولما كانت الاوهام والتخيلات البشرية حيال العقيدة تسير نحو زوايا الوهن وانتكاس النفس البشرية حول اللامعقول في عقيدته وعبادته، يبزغ نور الإسلام، نور القرآن، ليبين لهم الحاجة الإنسانية لدين الحق والعبادة الحق التي يرتقي الإنسان إلى السعادة والتوفيق الالهي لتحقيق الصلاح.

و"تلك الحاجة الإنسانية كلها إلى الدين، أي العقيدة الصحيحة عن الإنسان والكون والحياة وما وراء ذلك كله، والعقيدة الصحيحة التي يهدي اليها العقل، والعلم، والإيمان بوجود الله ووحدانيته، وان لا سلطان حقيقياً في الكون غير سلطانه، ولا قوة قاهرة غير قوته، ولا ملك غير ملكه، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله (عز وجل)، يمنحه حيث يشاء ويسلبه عنما يشاء.. فإذا تأمل الإنسان في هذا كله وآمن به ايماناً جازماً قائماً على اساس من البحث العقلي المتأمل الحر شعر في اعماق كيانه كله بأنه عبدٌ لهذا الاله الواحد العظيم".[١٥]

وقدّم القرآن الكريم الادلة القاطعة على العقيدة السليمة لتوجيه الفكر الإنساني نحو معرفة الله تعالى وتوحيد ربوبيته ومعرفة صفاته، ومن تلك الآيات الكريمة: قوله تعالى: ﴿

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١٦] ، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [١٧] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[١٨] .

ويتجلى التوحيد في مجمل التنزيل الحكيم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[١٩] ، وهي توجيه الأنظار إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢٠]، وتوجيه النظر لعبادة الله وحده: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾[٢١] .

وان فضل عبادة الله تعالى وشكره على ما أفاض علينا من النعم واعترافاً بعظمة خلقه، فهو الخالق، فلا يعبد غيره، وهو الصانع لا يسجد لغيره، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢٢] ، فالعلاقة بين الخالق والمخلوق صلة عظيمة، وعبادة الخالق اعترافاً بعبودية البشر لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٢٤] .

مما تقدم من الآيات الناطقة بالتوحيد والأخبار الالهي الصريح، فلا بد للعقل من أن يدرك الحقيقية الالهية، ولا يركن لنفسه إلى الاهواء والشهوات بل يجب "بحكم بأن الله واحد لا شريك له، وذلك بالبراهين والأدلة الكثيرة فوجود شريك لله تعالى مكافئ له، أمر مستحيل عقلاً ولا يمكن بقبوله بحال من الأحوال"[٢٥].

والله تعالى أراد الرقي بالفكر الإنساني وصرف العقل الى التفكر والتدبر والنظر في آلاء الله تعالى وخلقه عبر الحقائق والمشاهدات والمحسوسات التي تحيط بالإنسان، للوصول إلى مسلمات عقلية قارنه بها، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٦).

المبحث الثاني

القرآن الكريم ودوره في معالجة التطرف الفكري والحفاظ على النسيج الاجتماعي

مدخل:

قدّم القرآن الكريم في آيات عدة اصول وقواعد رصينة للعقيدة السليمة، وكما مر معنا قبل قليل، والحق أن الخطاب الالهي المبين الذي ارتضاه لا يمكن ان يتم تبديله من البشر، وصياغة الطبيعة الالهية على وفق الرغبات والشهوات وما تهوى الانفس.

غير ان تلك الشهوات والرغبات عمدت إلى تأويل الدين واصوله واحكامه على وفق هواية الأنفس والخلوص إلى تيارات فكرية متطرفة هادمة للدين، والمجتمع، وتفكيك المنظومة الاسرية وقيمها الحنيفة التي دعائمها الدين القويم الذي صدر عن سراج الله تعالى.

من اجل هذا سنقف هنا ببيان دور القرآن العظيم في معالجة التطرف والحفاظ على النسيج الاجتماعي، ثم نعرج على دور المجتمع الاكاديمي في معالجة التطرف كمشروع وقائي نختم بها بحثنا ودراستنا. على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الكريم ودوره في حماية الفرد والمجتمع من التطرف الفكري

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٢٧] ، توجه الآية القرآنية ان القرآن الكريم هو شفاء ورحمة لما في القوب والانفس والاجساد، فهو يعالج جميع الامراض والأسقام والعلل التي تشوب الإنسان، ولعل الناظر في الآية الكريم عند التأمل يجد أن العلاج النفسي أهم مسألة جوهرية يركز عليها القرآن الكريم، لأن الكيان النفسي الإنساني هو أهم منطلق إلى الآية الكريمة التي تريد صياغة قلب الإنسان وانجلاءه بنور الإيمان ليبرق بعدها وتستقيم أمور الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢٨] .

وان الاحكام العقدية التي ارسلها الله تعالى وارتضاها لعباده هي نورانية لا يمكن تبديلها والانحياد عنها، فبث الله روح العقيدة في النفس عن طريق الانبياء (عليهم السلام)، الذين بلغوا التوحيد عن ربهم، واما الاحكام التعبدية فقد شرعها الله تعالى على عباده للوصول الى سعادة المجتمع والفرد.

ولكل أمة من الامم رسول ونبي لينذروهم ويبلغوهم الحق من ربهم قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٢٩] ، فكل الانبياء (عليهم السلام)، جاؤوا بالتوحيد برغم تنوع الشرائع بحسب احوالها.

والتطرف الفكري الذي ما هو إلا سياق غرق عقول بعض الناس على وفق مآرب ونزعات نفسية وقضايا سياسية لتحقيق فيض من المصالح الدنيوية والتسلط على رقاب الشعوب والامم، في الوقت نفسه أن القرآن الكريم يرفض كل أنواع التطرف بل يحث على التفكر والتدبر على وفق قواعد العقل والخروج بالفكر المعتدل السليم، ولنقف على آيات عدة دلالاتها تدين الفكر المتطرق وتنبذه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٣٠] ، فالحكم الالهي مقطوع والعدالة السماوية هي الفيصل في الأمور كلها، فأي حكم لا يرد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهو باطل لقوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣١]

والجاهلية ليس تحاط بالأقوام السابقة في عصر من العصور بمعانيه، بل الجاهلية والجهل هو التردي بالفكر وفقدان ضوابطه والرضا بحكم العقول البشرية القاصرة، وترك حكم التنزيل الحكيم، حكم الله تعالى.

ثم نقف على الفكر المتطرف المبتدع، اين هذا الفكر من حديث النبي (ﷺ)، الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى.

قال (ﷺ): ((تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[٣٢].
وقوله (ﷺ): ((اني قد خلقت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي))[٣٣].

فالاحاديث تقرر أن الدين له تمام، والتمام بختم النبوة التي جعلنا (ﷺ)، على المحجة البيضاء فلا حجة للذين يريدون اختراع الدين وتقويضها بتأويلات باطلة لم ينزلها الله تعالى ولم يذكرها النبي (ﷺ).

وبهذا يتحقق ان السلام جوهر الاسلام ودينه الحنيف، وأن التطرف في الدين يتعارض مع الدين، وما ذكرناه من شواهد.

وان الدين يدعو إلى اليس لا العسر، وما يحاك اليوم على الساحات الفكرية ما هو إلا تشويه للدين، والتنفير منه، وقيادة المجتمعات -خاصة الشباب- الى اللادين، او إلى الالحاد.. فأي اصلاح يريدون في الأرض الذين تتلاعب بهم افكار التطرف والغلو، والله (عز وجل) يدعو إلى الاعتدال والاصلاح، ولنقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[٣٤] ، فهذه الآية الكريمة رادعة للذين يسعون في الأرض الفساد ويقتلون الناس بحجة الدين وامره واحكامه، قال تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[٣٥] ، فأي ذنب أعظم من قتل النفس من أجل نظرة فكر متطرف، وأي فساد عظيم من فكر فاسد يبتعد كل البعد عن الشريعة الاسلامية السمحاء.

ولننظر بتأمل الى مقاصد الشريعة الإسلامية ونجعلها في مرمى الدراسة ونأخذ منها البيان الجلي المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أليس من اعظم المقاصد هي الضرورات الخمس التي حرص عليها الشارع الحكيم، التي هي: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال)، وكل واحدة منها لها تفصيلات وادلة لا مقام من ذكرها.

فالتطرف الفكري له آثار بالغة على تلك الضرورات التي أسسها حلقات مرتبطة بعضها ببعضها الآخر.

فكيف تزهق الأرواح، ويضيع الدين، ويبهلك الحرث والنسل، وتضيع الأموال.. أليس في هذا مخالفة للدين القويم، على وفق أفكار الغلو والتطرف.

المطلب الثاني: القرآن الكريم ودوره في الحفاظ على النسيج الاجتماعي

لو قفنا وقفة تأملية في آيات القرآن الكريم، نجد أن النظام الاجتماعي أخذ اهميته ومكانته العالية في بث روح ذلك النظام، وليس الأحاديث النبوية الشريفة عن ذلك ببعيد، لأن السنة النبوية هي الكاشفة والمبينة للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[٣٦] .

ومن تلك القواعد القرآنية التي هدفت إلى الحفاظ على النسيج الاجتماعي وبيانه: ان القرآن الكريم بيّن أصل البشرية، وان الله تعالى خلق الناس جميعا من أصل واحد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣٧] .

واما التشريع فكذلك مصدريته من عند الله تعالى، وقد شرع الله تعال الشرائع للناس كي ينظم احوالهم وعباداتهم، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا في كتاب كل ذلك لتنظيم احوال الفرد والمجتمع، فنجد في العبادات لها أحكام تدور في تنظيم العلاقة مع الله تعالى والوصول الى قمة الطاعات.

وكذلك احكام البيوع وما يجوز بها وما لا يجوز، واحكام المعاملات التي تنظم علاقة الفرد بالمجتمع، والمجتمع بالمجتمع الآخر، وهكذا ولم يترك الله تعالى جانبا من جوانب الحياة التي لها بسعادة البشر إلا نظمها.

وقد حرص القرآن الكريم في توجيه الأنظار حيال مسألة جوهرية ومهمة في المجتمع ألا وهي التكافل الاجتماعي الذي حده كفالة الايتام واعطاء حق الفقراء والمساكين، وقد نجد آيات عدة تعالج هذه المسألة لأهميتها، وأهمية عدم ضياع وتشتت المجتمع وتدهوره بسبب العوز والفقر.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾[٣٨] .

وفي معرض مدح المؤمنين الذين يحافظون على مواصلة الانفاق وكفاء الايتام والارامل والمساكين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣٩].

ووصف الله تعالى الذين لا يؤتون هذه الشريحة من المجتمع بأوصاف منبوذة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[٤٠].

وقد شملت الآية الكريمة معظم شرائح المجتمع متمثلة بالإحسان والترابط المجتمعي، ولم يترك شريحة من شرائح المجتمع إلا وجهه الله تعالى الانظار اليها والحفاظ على لحمتها، وكل هذا يرتبط بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٤١].والاعتصام هنا يعطي قوة للمجتمع وزيادة نفوذه والحفاظ على مكوناته.

المطلب الثالث: واجب المجتمع الاكاديمي نحو التطرف الفكري

مما تقدم في البحث الذي بينا فيه الأصول العقدية والاحكام التعبدية التي مصدرها من عند الله تعالى التي بينتها السنة النبوية المطهرة، علمنا مدى خطورة هدم العقيدة والاحكام والنسيج الاجتماعي، من قبيل التطرف الفكري وخطورته على الانسان والمجتمع وكل ما يتعلق به.

فالواجب على المجتمع الاكاديمي الذي يعدّ شريحة المجتمع الأولى أن يتصدر للفكر المتطرف بوسائل علمية تقمع التطرف وافكاره، واستعمال منهجاً قويماً على وفق القواعد الشرعية والقانونية بما يقوم اعوجاج الفكر المتطرف، واخضاعه للعقل والفكر السليم.

ويتم هذا الواجب في أمور عدة:

١. بناء فكر وسطي، وغرس قواعد العقيدة الايمانية السليمة، واظهار وسطية الاسلام وترسيخ الانتماء لهذا الدين، كي لا يكون للقائمين على التطرف الفكري سلطة على المجتمع والتسليم لما يقولونه.
٢. التركيز على التدريسيين والمعلمين، الركن الاساسي في التعليم والتعلم، وذلك بأن تكون شخصيتهم العلمية معززة بالفكر الوسطي والانفتاح على الافكار وتنقيتها من شوائب وشواذ التطرف، والقيام بالعلمية التعليمية على وفق مناهج سليمة تنير عقول الطلبة وخلوصها إلى فهم دقيق، وفكر سليم، وعقل متدبر وحصين.
٣. تسليح طلبة العلم بالعلم والثقافة والفنون، والانفتاح على معارف العلوم كلها، بما يزيده ثقافة وسمو ورفعة في فكره.
٤. نبذ الجمود الفكري والقولبة الفكرية لطلبة العلم، وبث فيهم روح الابداع الفكري والتأمل العقلي على وفق ضوابط الدين الحنيف، واستعمال وسائل تدريبية يستعملها الاساتذة ضمن الدرس العلمي.
٥. تضمين المناهج الدراسية للمستويات كافة في بث روح مفردات الفكر الاسلامي الذي يدعو الى ثقافة الوسطية والاعتدال، وتخطيط المناهج الدراسية تحت ضوء الخطاب الالهي ومقاصده التي تهدف إلى حماية الانسان وشرائح المجتمع بكل دياناته واطيافه.

٦. بيان خطورة التطرف الفكري وآثاره التدميرية على المجتمع، وأن هذه الأفكار المتطرفة ما هي الا صناعة سوداء قامت بها مؤسسات لتدمير الدين وقتل الانسان وتهديم معالم المجتمع باطيافه، واحداث الفتن والمحن ونكد العيش وتهجير الاقوام من الاوطان.

الخاتمة

للقرآن دور عظيم في بناء نسيج اجتماعي، يتعايش فيه اطياف المجتمع بكل الوانه وطبقاتهم واحوالهم، ولم يفرق القرآن الكريم بين تلك الاطياف، بل حافظ على العيش المشترك، والتواصل بين المجتمعات وبث روح الانسانية في اوساطها.

وقد خاطب القرآن العقل الانساني الذي يعد محرك الانسان والضابط لجميع احواله، وان العقل لا بد ان يسير على وفق قواعد المنهج القرآني ودلالات النص، والبحث والتفتيش في روح النص. ولا يعذر القرآن الكريم من خرج عن نهجه وصرف الآيات الكريمة نحو الغلو والتطرف، والاوهام والتخيلات البشرية لتخرج عندئذ حركات وتيارات تعطي الحق بلباس الدين تدمير المجتمعات وتهجيرها وتهديم النسيج الاجتماعي.

وخلص البحث الى اهم نتيجة ان الخطاب الالهي له مقاصد في سعادة البشر، وان أي تدمير لسعادة البشر هو يخالف الثوابت القرآنية. وان الدعوة الى العقيدة الصحيحة تحتاج الى لين ورفق وبث روحها على وفق الجبلة النفسية التي استعملها القرآن الكريم في آيات عدة.

هوامش البحث

[١] سورة الحشر، من الآية (٢).
[٢] سورة طه، من الآية (١٢٨).
[٣] سورة البقرة ، من الآية (٤٤)
[٤] سورة البقرة، من الآية (٢١٩).
[٥] سورة الاسراء، الآية (٧٠).
[٦] ينظر: اسرار التنزيل وانوار التأويل، الامام فخر الدين الرازي، تحقيق محمود أحمد محمد واخرين، دار المعرفة ، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: ص٤٢٤.
[٧] سورة ق، الآية (٣٧).
[٨] ينظر: اسرار التنزل، الامام الرازي: ص٤٢٧.
[٩] شرح النسفية في العقائد الإسلامية، د. عبد الملك السعدي، دار الانبار، بغداد، ط١/ ١٤٠٨-هـ ـ ١٩٨٨م:ص٣٢.
[١٠] سورة الانسان، الآية (٣).
[١١] سورة الشمس، الايتان (٩_١٠)
[١٢] سورة البقرة، من الآية (٣٠).
[١٣] كبرى اليقينيات الكونية/ محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق ط٢٨: ص٦٥.
[١٤] العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم، دمشق،ط١٥، ١٤١٣هـ ـ ٢٠١٠م: ص٥٢.
[١٥] كبرى اليقينيات الكونية، البوطي: ص٦٧.
[١٦] سورة البقرة الآية (١٦٣).
[١٧] سورة النحل، الآية (٥١).
[١٨] سورة الاخلاص، الآية (١).
[١٩] سورة البقرة، من الآية (٢٥٥).
[٢٠] سورة محمد، من الآية (١٩).
[٢١] سورة طه، من الآية (١٤).
[٢٢] سورة البقرة، الآية (٢١).
[٢٣] سورة الاسراء، من الآية (٢٣).
[٢٤] سورة الزخرف، الآية (٦٤).
[٢٥] العقيدة الاسلامية، الميداني: ص٦٠.
[٢٦] سورة البقرة ، الآية (١٦٤).
[٢٧] سورة الاسراء، الآية (٨٢)
[٢٨] سورة يونس، الآية (٥٧)
[٢٩] سورة فاطر، من الآية (٢٤).
[٣٠] سورة النساء، الآية (١٠٥)،
[٣١] سورة المائدة، الآية (٥٠).
[٣٢] رواه ابن ماجه، (٤٣)، وصححه الالباني.

[٣٣] رواه البيهقي في سننه.
[٣٤] سورة الكهف، الآية (٨٨).
[٣٥] سورة المائدة، من الآية (٣٢).
[٣٦] سورة الاسراء، الآية (١٠٦).
[٣٧] سورة الحجرات، الآية (١٣)
[٣٨] سورة الضحى، الآيتان (٩-١٠)
[٣٩] سورة المعارج، الايتان (٢٤-٢٥)
[٤٠] سورة النساء، الآية (٣٦).
[٤١] سورة ال عمران من الآية (١٠٣)